



## الفصل الثالث عشر

### الظهور الأول

السادس عشر من تشرين الثاني عام 2003م



إنَّه ملعب دراغاو الجميل، بلونه الأزرق المتباين مع أرضية الملعب الخضراء؛ مدرجاته المكشوفة تتيح إلقاء نظرة على مدينة بورتو بأضوائها البهية. تزيد المظلة البيضاء من بهاء أرضية الملعب.

بُني هذا الملعب الذي صمَّمه المهندس مانويل سالغادو، ويتسع لاثنتين وخمسين ألف متفرِّج، ليحلَّ محلَّ الملعب القديم المُسمَّى داس إنَّاس، ويستضيف بعض مباريات بطولة أمم أوروبا لعام 2004م.

أقيمت المباراة الافتتاحية للبطولة هناك، حيث واجهت البرتغال اليونان. إنَّه الملعب الذي يحتضن عادة مباريات نادي بورتو لكرة القدم؛ وهو مكان جميل ومضاء بصورة جيدة، تتناسب مع أول ظهور لليو الذي سيشارك الفريق الأول للعب، خاصة أنَّه يصادف يوم الأحد، السادس عشر من شهر تشرين الثاني عام 2003م؛ وهو تاريخ افتتاح الملعب.

تجمَّعت الحشود الهائلة التي حفزها الفضول وحبَّ الكرة إلى ترقُّب بدء مراسم افتتاح البطولة، ومتابعة لوحات فنية رائعة لكرة القدم في مدينتهم، وتجربة سحرها مباشرة، آملَّة أن تمثل ألوان ملابس فريقها فألاً حسناً بالنسبة





إليهم، ومتطلّعةً إلى قضاء نصف ساعة بأبصار شاخصة تجاه السماء التي اشتعلت بالألعاب النارية.

تُعَدّ مباراة اليوم حدثًا قليل الأهمية؛ فهي تفتقر إلى كثير من فنون كرة القدم، وإلى مشاعر الإثارة والحماس التي تلازم مدرّجات المشجّعين عادة، ناهيك عن الأداء الممل الهزيل الذي رافق الحدث والفريق المضيف، وانتهى بخروج هذا الأخير فائزًا بنتيجة (2-0).

يظهر ليونيل ميسي أول مرّة في الدقيقة الرابعة والسبعين. لقد كان التغيير الثالث الذي يجريه نادي برشلونة، الذي انضمّ إلى كوكبة الأبطال الذين يحتفلون بذلك العرس الكروي البرتغالي. ضمّت التشكيلة - قسرًا - كثيرًا من لاعبي الفريق الرديف؛ إذ جرى استدعاء اللاعبين الدوليين إلى منتخبات بلادهم، للمشاركة في التصفيات المؤهّلة لبطولة أمم أوروبا لعام 2004م، أو في المباريات الودية. إذن، لقد استُدعي الصغار الواعدون لرحلة البرتغال، وهم: خواكيرا، وأوسكار لوبيز، وأوليغير، وماركيز، وفيرناندو نافارو، وتشافي، وروس، وسانتا ماريا، وغابري، ولويس غارسيا، ولويس أنريكة، وإيكسبوزيتو، وتياغو، وجوردي، وأوريول ريبيرا، وميسي، الذي كان قد أحرز في اليوم السابق ثلاثة أهداف في أثناء مشاركته الفريق (أ) في غرانولرز (مدينة قريبة من برشلونة).

يدخل ليو بديلًا لنافارو، مرتديًا القميص رقم (14)، على أحرّ من الجمر للكشف عن معدنه. وقد نجح في ذلك مع أنّ مشاركته لم تتعدّ ربع ساعة؛ إذ هيأً لزملائه فرصتين للتسجيل. يُعلّق فرانك ريكارد - بعد المباراة - على ذلك قائلاً: «إنه فتى موهوب جدًّا، ولديه مستقبل واعد».

يبلغ ليو من العمر ستة عشر عامًا وأربعة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا. ويصبح بذلك ثالث أصغر لاعب في تاريخ النادي يشارك الفريق الأول في





مبارياته. وقد سبقه إلى ذلك كل من: بولينو الكانتارا، الذي شارك أول مرّة في مباراة أمام نادي كاتاليا في الخامس والعشرين من شهر شباط عام 1912م، وكان يبلغ حينها خمسة عشر عاماً وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً، والنيجيري أرونا بابانغيذا الذي أشركه المدرب السابق للفريق لويس فان خال دقائق معدودات في مباراة أمام نادي إيه جي، أو في الهولندي عام 1998م، وهي مباراة ودية تحضيرية أُقيمت في هولندا، وكان عمره وقتئذٍ خمسة عشر عاماً وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً. لقد كان ذلك حقاً مؤشراً إيجابياً لأداء الفتى الصغير الذي وصل من الأرجنتين قبل سنتين ونصف السنة.

شكّلت تلك الليلة الرائعة في بورتو استثناءً إلى حين؛ إذ تعيّن على ميسي الانتظار حتى شهر تموز من عام 2004م ليعاود اللعب مع الفريق الأول مرّة أخرى. كان ذلك في الجولة الآسيوية للفريق التي شملت كوريا الجنوبية، واليابان، والصين.

وكان نادي برشلونة قد شهد تغييرات كثيرة قبل ذلك بمدة وجيزة؛ إذ تمكّن خوان لابورتا من الفوز في انتخابات رئاسة النادي التي جرت يوم الخامس عشر من شهر حزيران عام 2003م. وكان فرانك ريكارد قد وصل لتدريب الفريق الأول، تبعه تقديم أمل النادي الجديد؛ رونالدينيو، الذي رحّب به نحو 30,000 مشجع في نو كامب.

بعد انتهاء موسم 2002م-2003م الكارثي (الخروج من ربع نهائي دوري الأبطال على يد يوفنتوس، وكذا كأس الملك على يد فريق نوفيلدا القادم من الدرجة الثانية، واحتلال المركز السادس في الدوري بفارق اثنتين وعشرين نقطة عن صاحب اللقب ريال مدريد، وإقالة مدربيّين هما لويس فان خال، ورادومير أنتك، ورئيسيّ للنادي هما خوان غاسبارت، تبعه أنريك رينا مدة انتقالية إلى حين إجراء الانتخابات)؛ يأمل المساهمون في النادي أن تتحسن





## هيسي

الأمر، وأن تُردم الهوة بينهم وبين غريمهم التقليدي ريال مدريد؛ ما يتطلب من النادي تصويب أوضاعه، وجلب من بإمكانه المساعدة على ذلك.

لم يقتصر التغيير على الفريق الأول فحسب، بل تعداه ليشمل فرق الفئات العمرية. وقد بدأت بوادر هذا التغيير بإقالة مدير الكرة خواكيم ريفه من منصبه، وتعيين جوسيب كولومر خلفاً له، الذي قام - في أثناء ولايته - بتعيين الأرجنتيني أنخل غوييرمو أويوس مدرباً لفريق الشباب (ب)، الذي يضم لاعبين من مواليد عام 1987م.

وكان أويوس لاعب الجناح قد لعب لأندية كوردوبا، وخمنازيا دل بلاتا، وبوكا جونيورز، وتشاكاريتا، وإيفرتون (في تشيلي)، وديبورتيفو تاكيرا (في فنزويلا) وريال كاستيا (في إسبانيا). وحين التقى هذا اللاعب ميسي سرعان ما انسجما مع بعضهما بعضاً، حيث أخذتا يتحدثان عن كرة القدم، وعن شغف ليو بنادي نيولز بالطبع. لقد فهم كل منهما الآخر بسرعة.

يظهر الانطباع الأول للمدرب الجديد على الأراضي اليابانية في بداية شهر آب من عام 2003م، حيث يوشك فريق الشباب (ب) أن يشارك في بطولة تويوتا الدولية للشباب دون سن (17) عاماً. يقول أويوس: «طلبت إلى اللاعبين أداء بعض التمرينات الخفيفة لحظة وصولي؛ بغية تليين العضلات. لم تكن تلك تمارين صعبة أو شاقّة. لم أكد أصدق عيني بعدها بخمس دقائق. لقد سبق أن أخبروني عنه بالطبع. لكنني لم أدرك أن الأمور بلغت ذلك الحد الكبير؛ فقد كان ليو شرساً حقاً».

ترسّخت هذه الفكرة في أثناء المباراة التي خاضها الفريق أمام فريق نادي فينورد في إقليم إيتشه؛ إذ مرّت ربع ساعة على البداية والبارسا متأخر بهدف. ليو يطلب الكرة، يتجاوز أربعة مدافعين وحارس المرمى، ثم يضع الكرة





على طبق من ذهب لزميله سونغو ليسجل هذا الأخير هدفًا. لا يُصدّق أويوس عينية؛ فهو من ناحية مشدوه من روح التعاون التي يتحلّى بها الصبي، ونأيه عن الأنانية التي كانت ديدن من هم في سنّه (أو أكبر منه سنًا)؛ وهو من ناحية أخرى مبهور من الأداء الفني المتميّز الذي رآه.

اختير ليو أفضل لاعب في البطولة؛ وهو لقب سيحظى به مرّة أخرى. ولكن، في بطولة جاوميه سيرا التذكارية لكرة القدم التي ستقام في مدينة سيتغيس، وبطولة سلفادور ريفاس ميرو التذكارية الثالثة التي ستقام في سان فايسينت دي مونتالت، فضلًا عن دورة الصداقة التي ستشهدها مدينة سان جورجيو ديلا ريشينيفيلا أوأخر آب، وهي مدينة تابعة لمقاطعة بوردينوني الإيطالية.

تمكّن فريق الشباب (ب) من التغلّب على فريق بارما، وفريق مدينة فريوللي - فياتشينزا - جيوليا المستضيف، وكذا فريق هانزا روستوك، وإنتراخت فرانكفورت، وتريفيزو. وأخيرًا حقّق فوزًا باهرًا على فريق يوفنتوس في المباراة النهائية بنتيجة (4-0).

لقد تمكّن الفريق من تسجيل (35) هدفًا، إلا أنّ ليو يشعر بالذنب ولا يسامح نفسه من جرّاء إضاعته ركلة جزاء. ومع أنّ الهدف الذي أحرزه من ركلة جزاء في المباراة النهائية خفّف من عقدة الذنب التي اعترته، لكن الخطأ الذي ارتكبه ما زال يؤرّفه.

يحاول أويوس تهدئته في البداية، بقوله: إنّ حارس المرمى سيخبر أولاده وأحفاده أنّه صدّ ركلة جزاء سدّدها أفضل لاعب كرة قدم في العالم. بعد ذلك، أخضع أويوس ليو لتدريب يومي يتضمّن التركيز على تسديد ركلات الجزاء، موضّحًا أنّه (ليو) قد يسدّد خمس أو ست ركلات في أثناء الموسم، وقد تكون إحداها حاسمة؛ سواء أكان ذلك في مباراة مصيرية، أم دورة مهمة. كلمات





## هيسي

سيبتذكرها ليو لاحقًا عندما يشارك منتخب الأرجنتين فرحة الفوز ببطولة كأس العالم لفئة الشباب دون سنّ العشرين، بفضل ركلتي جزاء يسجّلهما في المباراة النهائية.

يُذكر أنّ الشراكة الناجحة بين أويوس وميسي (تعرّضا خلالها إلى خسارة واحدة فقط كانت أمام ريال مدريد في دورة خوزيه لويس رويز كاسادو سان التذكارية) لم تدم طويلاً على الرغم من ذلك كلّه؛ إذ اقتصر على مرحلة الإعداد فقط. فمسؤولو النادي لا يساورهم أدنى شكّ في أنّ مستوى أداء ليو يفوق مستوى أداء أقرانه في الدوري الذي ينشط فيه، فيقرّرون ترقّيته وترشيحه للعب مع فريق الشباب (أ) بصحبة جيرارد بيكيه.

هناك يبدأ نجم هذا اللاعب الفريد بالصعود؛ ففي موسم واحد فقط، حظي ليو بفرصة الانتقال من فريق الشباب (ب) إلى فريق الشباب (أ)، ثمّ من فريق البارسا المصنّف من فرق الدرجة الثالثة إلى نظيره في الدرجة الثانية. ولا ننسى اللحظات العابرة التي سطع فيها نجمه مع الفريق الأول، وعودته إلى فريق الشباب لمساعدة زملائه السابقين. وهذا وصف مفصّل لأداء ميسي واللحظات التي سطع فيها نجمه في أثناء مشاركته كل فريق من الفرق الثلاثة:

فريق الشباب (أ): وصل ليو في ثالث أيام الدوري. مكث حتى عيد الميلاد، ولعب في هذه الأثناء - بضعة أسابيع - مع فريق البارسا في دوري الدرجة الثالثة، ثمّ عاد في نهاية شهر أيار؛ للمشاركة في كأس الملك. لقد شارك في (11) مباراة من مباريات البطولة، أحرز خلالها (18) هدفًا، كان أحدها هدفًا رائعًا بحقّ. سجّل ميسي الهدف في مرمى ريال بيتيس خلال المباراة النهائية لدورة نيرخا؛ إذ وجد نفسه في منتصف الملعب، ولاحظ أنّ حارس المرمى متقدّم عن مرماه، فسدّد بقوة، لتتطلق الكرة كالقذيفة متخذة شكل القوس، ثمّ تستقر في شباك المرمى، معلنة إحراز هدف، وتحقيق انتصار.



فريق البارسا المصنّف ضمن فرق الدرجة الثالثة: يعاني الفريق أوضاعاً صعبة مع نهاية شهر تشرين الثاني من عام 2003م؛ إذ تمكّن فقط من جمع (9) نقاط من (14) مباراة. ثمّ تتغيّر الحال حين تصله التعزيزات الممثلة في ميسي والفني القادمين من فريق الشباب (أ). يخوض اللاعبان مباراتهما الأولى مع الفريق محقّقين له النصر على فريق يوروبا في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني. وقد أبلى كلاهما بلاءً حسناً، لكنّ اللحظة الفضلى تأتي في الرابع من شهر كانون الثاني عام 2004م، حيث يلعب الفريق أمام فريق نادي غرامينيت في سانتا كولوما. البلوغرانا متأخرون بهدف (2-1).

وفي الدقيقة السابعة والثمانين، يحين الوقت ليسطع نجم ليو. فيسجّل هدفين بلمح البصر؛ أحدهما بضربة رأسية، والآخر بقدمه اليسرى (إضافة إلى هدف التعادل قبل ذلك)، ويؤمن البرغوث النصر لفريقه. لقد تمكّن من إحراز خمسة أهداف في عشر مباريات، وأسهم في إنقاذ الفريق من شبح الهبوط، ليرحل بعدها عاقداً العزم على رفع سقف طموحه وما يصبو إليه؛ فمستواه يؤهّله للعب في دوري الدرجة الثانية أو الأولى، وهو واثق من قدرته على إيجاد موطئ قدم له في مثل هذا الدوري، مع أنّه لا يزال في السادسة عشرة من العمر.

فريق البارسا المصنّف ضمن فرق الدرجة الثانية: خاض ميسي مع هذا الفريق - على أرضه - مباراته الأولى في السادس عشر من شهر آذار، التي جمعتَه بفريق ماتاريو. وقد اعترف المدرب بييري غراتاكيوس بضرورة إعداد برنامج تدريب خاص بليو؛ لأنّه سيضطر إلى مواجهة لاعبين أكبر منه، وأطول، وأقوى، وأكثر خبرة. وأعرب عن ذهوله من قدرة ليو الفاتقة على التأقلم والتكيّف بسرعة مع الفريق الجديد، الذي يضمّ زملاءً مختلفين، وتشكيلات متنوعة، ويقدم مع ذلك أداءً مذهلاً.





## هيسي

لعب ليوخمس مباريات، حقّق الفوز في أولها فقط. ومع ذلك، فقد علّق غراتاكيوس على ذلك بقوله: إنّه كان يتأقلم وحسب، واستطاع بعدها الكشف عن قدراته. وهذا ما حدث حقّاً؛ إذ اعتاد - بعدئذٍ - اللعب في دوري الدرجة الثانية، وكان الأفضل في المباراة التي خاضها فريقه أمام فريق جيرونا، وذلك يعيدنا إلى المربع الأول كما في لعبة السلمّ والثعبان؛ فريق الشباب (ب). يقول مدرّبهُ في فريق الشباب خوان كارلوس بيريث روخو: «لو كان ليو شخصاً آخر لشعر بالانزعاج، لكنّه لم يفعل. كان لا يتردّد في تقديم المساعدة للفريق (ب) كلّما تطلّب الأمر ذلك».

يتكرر الأمر نفسه في المباريات الثلاث الأخيرة من دوري عام 2003م-2004م؛ إذ لا تزال ثلاثة فرق تتصارع على اللقب، هي: البارسا، وإسبانيول، وبريميا دي مار. تحدّد اللقاء المصيري الذي سيجمع فريقه بفريق البارسا في الخامس عشر من شهر نيسان. وفي حال تمكّن البيغاوات (إسبانيول) من الفوز في هذه المباراة، فإنّهم سيصبحون قاب قوسين أو أدنى من اللقب.

وفي واقع الأمر، فإنّ فريق البارسا يمرّ بوقت عصيب لا يحتمل أيّ خطأ إن أراد الحفاظ على فرصه قائمة حتى النهاية. يتفوّق ليو على نفسه، فيقود البارسا للتقدّم (1-2). وحين يحاول الخصم العودة إلى المباراة، وتعديل النتيجة، يردّ ميسي بطريقته الخاصة؛ هدف ثالث ينهي الأمور.

يحتفل الفريق بإحراز اللقب بعدها بأسبوعين. وقد أسهمت الأهداف الستة والثلاثون التي سجّلها في مباريات رسمية، وما مجموعه خمسون هدفاً (أحرز أربعة عشر هدفاً منها في مباريات ودية)، في ذيوع صيته، فضلاً عن فوزه بعقد احترافي جديد. لم تكن المفاوضات التي سبقت توقيع العقد سهلة؛





نظرًا إلى الخلافات التي دارت رحاها بين مسؤولي النادي وخورخي ميسي الذي تولّى الموضوع شخصيًا. وفي نهاية المطاف، تمكّن الطرفان من التوصل إلى اتفاق. وكان مسؤولو النادي على يقين أنّ ليو سيحظى بخيارات أخرى إن قرّر الرحيل، خاصة بعد خسارتهم سيسك فابريغاس لصالح نادي آرسنال خلال الفوضى التي أعقبت إقالة خوان غاسبارت، وهم لا يريدون أن يكرّر التاريخ نفسه مرّة أخرى.

